المفارقة في الشّعر العربي الحديث بين سلطة الإبداع ومرجعية التّنظير

أ.صليحة سبقاق جامعة سطيف الجزائر

الملخّص :حظي موضوع المفارقة بدراسات عديدة في الوسط الأدبي والنّقدي وذلك كونها استراتيجيّة فنيّة يتمكّن الشّاعر بواسطتها من بسط رؤيته للعالم وشهادته على الواقع. غير أنّ الجهود النّقدية العربيّة في هذا المجال ما تزال محدودة خاصّة في الجانب التّطبيقي،ومن هنا يهدف هذا البحث في شقّه النّظري إلى تتبّع مفهوم المفارقة و نشأتها وصفاتها و أشكالها و دورها وعناصرها. أمّا في الجانب التّطبيقي فإنّ البحث يهدف إلى تحليل هذه التّقنية الأسلوبيّة في أعمال الشّاعر العراقي المعاصر عبد الرزاق عبد الواحد، الذي اتّخذ من (المفارقة) أداة يكشف من خلالها رؤيته للعالم من حوله و يصوّر بها واقعه الفردي و الجمعي، دافعا من خلالها المتلقي إلى محاولة استكشاف البناء الفنّي القائم على التّناقض و التّنافر.

Summary:

There were several studies on PARADOX in the literary and critical areas, being a technical strategy that allows the poet to present his worldview and his testimony on reality. However, the efforts of the Arab criticism in this area remain limited, especially in practice, this is why this research in its theoretical part aims to define the concept of paradox, its origin, characteristics, forms, role, elements.

In the practical part, the research seeks to analyze this stylistic technique in the works of contemporary Iraqi poet Abderrezak Abdelwahed, who made use of "PARADOX" tools to reveal his vision of the world around him, and describe his individual and collective reality, pushing the receiver to attempt to discover the construction based on the contradiction and repulsion.

الكلمات المفتاحية : المفارقة _ الإبداع _ المتلقي _ اللفظية _

مقدّمة:

استحوذت دراسة المفارقة على اهتمام العديد من النّقّاد الغربيّين، غير أنّ الجهود العربيّة في هذا المجال ما تزال محدودة، تنظيرا وتطبيقا، لاسيما في النّصوص الشّعريّة، لكن يبقى الشّعر رغم ذلك هو

أخصب فنون القول الأدبي التي وظّفت وأنتجت، آليات ومظاهر المفارقة و أبرزت رؤية الشّاعر للواقع والحياة والكون.

وانطلاقا من وظيفة المفارقة التي تشدّ انتباه المتلقّي إلى النّص و تخلق لديه نوعا من القلق والتوتّر حيال دلالات القصيدة عبر ذلك التّضاد والتّناقض الحاصل فيها، ليس فقط في الألفاظ والمواقف(الأحداث) بل في الأشياء كلّها بالاعتماد على آليات خاصّة تعتبر شفرات و مفاتيح يبثّها صانع المفارقة في النّص من أجل توجيه المتلقّي نحو دلالة ما، واعتمادا على ذلك ،تحاول هذه الدّراسة الإجابة عن سؤالين: الأوّل يتعلّق بماهيّة المفارقة و مفهومها في إطارها النّظري من خلال تتبّع أبعادها من حيث المظاهر و الأشكال و الوظيفة و الثّاني يتعلق بكشف تجليّات المفارقة و مظاهرها في بعض النّماذج من الشّعر ، و رصد أهمّ الآليات التي اعتمد عليها في صنع المفارقة وكذا الدّور الذي تؤدّيه المفارقة في بناء القصيدة.

مفهوم المفارقة:

تتجلّى المفارقة في مظاهر عديدة ،ترتبط بالوجود والإنسان والمجتمع ، وتبرز في زوايا التّناقض والتّضاد بين عناصر كان ينبغي أن تكون متوافقة ، فتُظهر لنا الموقف على عكس حقيقته، حيث يختلط العبث مع الجّد، والصّدق مع الكذب، وهي تتّصل في كثير من أشكالها بالتّهكّم والسّخرية ، و ترتكز على كونها يجب أن تجعل مُستقبلها يؤمن بالاختلاف والتناقض حتى وإن استنكر ذلك في بداية الأمر" فالمفارقة تقوم على استنكار الاختلاف والتّفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتّفق وتتماثل، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتّفاق في واقعة الاختلاف"([1])،وقد لخّص الدكتور حسني عبد الجليل يوسف رؤية شاملة للمفارقة بقوله:" أنّ المفارقة هي جوهر الحياة ، وتقوم على إدراك حقيقة أنّ العالم من جوهره ينطوي على تضادّ ،وانتهى إلى أنّ المفارقة نظرة إلى الحياة تدرك أن الخبرة عرضة إلى تفسيرات شتّى لا يكون واحدا منها هو الصّحيح ،وتدرك أن وجود التّنافرات معا ، جزء من بنية الوجود " ([2]) وهي

[1] _علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم ، القاهرة ،دط،1979م ،ص135.

[2] _ حسني عبد الجليل يوسف: المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ،د ط ،2005م، ص4.

رؤية تؤكد أنّ طرفي المفارقة (صانعها ومتلقيها) يتّفقان مسبقا على أن جوهر العالم من حولهما ينطوي على تضادّ، وأن الوجود بأكمله لا يتحقّق إلا بوجود التّنافرات .

كما ذهب الدّكتور ناصر شبانة إلى التّأكيد بأن مهمّة اللّغة صارت أكثر تعقيدا ، و صار لزاما عليها أن تنفلت من قيود المعنى لتحقيق شروط التلقي، " فكان لابدّ من انفصال آخر و حاسم هذه المرّة ينأى باللّغة تماما عن التّبعية للمعنى، بل قد يصل الأمر بها إلى أن تكون نقيضا مباشرا للمعنى في بعض الأحوال، و هو ما طفق يبرز في مصطلحات و مفاهيم كالمفارقة"([3]) و قد أورد ناصر شبانة لتوضيح جدوى الانحراف اللّغوي في المفارقة ،مثالا طريفا و كافيا في نفس الوقت لإبراز ذلك، فقد وقف النّاقد على إعلان في جريدة مكتوب في رأسه(لا تقرأ هذا الإعلان)، وهي جملة تثير الغيظ و الذهول لدى المتلقي بعيدا عن الوعي بمقصديّة صاحبها. . . فهي تخلو من الاستعارات و التّشبيهات و المجاز ولكنها تحمل انحرافا ما. . . هذا الانقلاب من الضّدّ هو الذي يولّد فكرة المفارقة في صورتها الأوّليّة ، و من هنا تتساوى البنيتان:

لا تقرأ هذا العنوان.

أرجوك اقرأ هذا العنوان.

و انطلاقا من هذا ينبغي على القارئ أن يكون هو بدوره مراوغا ليتصرف بذكاء حيال البنى اللّغوية المراوغة التي تتسلّح بها المفارقة.

تعريف المفارقة:

لغة:

ورد في لسان العرب أن الفرق خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقا، والتفرّق و الافتراق سواء، و منهم من يجعل التفرّق للأبدان و الافتراق في الكلام، يقال فرقت بين الكلامين فافترقا ، و فرقت بين الرجلين فتفرّقا . . .و

[3] _ ناصر شبانة : المفارقة في الشعر العربي الحديث ، مرجع سابق، ص17

فرق الشيء مفارقة و فراقا :باينه، والاسم الفرقة، وتفارق القوم: فارط بعضهم بعضا. ويقال: أوقفت فلانا على مفارق الحديث، أي على وجوهه و فرق لي رأي، أي بدا وظهر([4]) ويظهر لنا من خلال المعاني المختلفة لجذر الكلمة فرق أنّها تشترك في الاختلاف والتنافر والتضاد .

و جاء في معجم اللّغة العربية المعاصر : فارق يفارق مفارقة وفراقا، فارق فلانا أي ابتعد عنه :باعده، انفصل عنه و تركه، و وردت لفظة المفارقة في القرآن الكريم في الآيات:"فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف"(الآية 2، سورة الطلاق) و" قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ"(الآية 78، سورة الكهف) و في قوله تعالى أيضا: "و ظنّ أنّه الفراق"(الآية 28 ، سورة القيامة) و قمين بالذّكر أن المفارقة مصطلح غربي لم يعرفه النّقد العربي القديم ولم يرد في الدّراسات النقدية العربيّة إلاّ حديثا عبر الترجمة.

و بالعودة إلى (قاموس اكسفورد) نجد مصطلح المفارقة هو (irony) وهو مشتقّ من الكلمة اللاتينيّة (ironia)الّتي تعني الاختفاء و المخادعة و التّظاهر بالجهل.([5])

اصطلاحا:

أكّد ميويك (Mueck) في كتابه الذي يعود إليه كل باحث في موضوع المفارقة بأن المصطلح لم يظهر في اللّغة الانجليزية حتى عام 1502 م، و لم يستغّل بشكل رسمي إلى غاية بداية القرن الثامن عشر.([6]) و حريّ بنا أن نسجّل أنه أثناء البحث عن المصطلح الأجنبي (للمفارقة) في النّقد الغربي،نجد هناك تشابه بين مصطلحي (Irony)و(Paradox)،فقد أكد (ميويك) أن المفارقة في نظرالشّاعر و النّاقد الالماني اوجست شليجل (A.Wschlegel) هي شكل من النّقيضة( )" a form of paradox "

وفي تتبّعنا للفظة (Irony) التي تعني التّهكّم والسّخرية،بدا لنا أن مفهوم المفارقة أعمّ و أشمل من السّخرية، فما السّخرية إلا وجه من الوجوه العديدة للمفارقة، كما أنّ لفظة (Paradox) التي تعني النّقيضة ، تكاد تكون أقرب إلى مفهوم المفارقة على أساس أنّ داخل مبنى كل مفارقة هناك نوع من التّناقض.

---

[4] _ــ لسان العرب :ابن منظور ، مادة فرق

[5] _ the shorter oxford englishdictionaryprincipales,edited by c.t -William little,h.wfowler,j.coulous, onion,oxford,clareendon press,1956 ;p1045

[6] _ Muek ,d.c,irony and ironic ,methuen,london and newyork,1982,p82

المفهوم المعرفي النّقدي للمفارقة:

يقرّ ميويك– أشهر دارسي المفارقة– بصعوبة تعريف المفارقة،و شبّه محاولات تعريفها بمحاولة(لملمة الضّباب) ويقول مؤكدا ذلك: "لو اكتشف امرؤ في نفسه دافعا لإيقاع امرئ آخر في اضطراب فكري ولغوي،فلن يجد خيرا من أن يطلب إليه أن يدوّن في الحال تعريفا للمفارقة."([7]) فأمثله المفارقة على اختلاف نوعها،لا تشبه بعضها بشكل كبير، بل إنّ هناك من المواقف والبنى النّصيّة ما يعتبره البعض مفارقا، و يعتبره آخرون ممّا لا يقع في باب المفارقة.

والمتتبّع لتطور دلالة مصطلح المفارقة في الأدب و نقده، يجد أنّه مفهوم في حالة تطوّر مستمرّ " فقد كانت المفارقة في القرن السّادس عشر لا تزيد على كونها صيغة بلاغية،ولايعني ذلك أن ما ندعوه اليوم مفارقة لم يكن يجري تداوله والاستجابة له، بل يعني أنّ ذلك لم يكتسب اسما في وقته، لكن المفارقة اليوم تعني أشياء شتّى لأناس شتّى"([8])وعلى الرّغم من تباين تلك التّعريفات حسب زاوية الرّؤية التي نظر منها كلّ ناقد إلى المفارقة ،فأنها اشتركت عموما في العناصر الآتية:

–ترتكز بنية المفارقة على لغة لمراوغة،تقول مالا يتوقّعه القارئ للوهلة الأولى، متجاوزة بذلك إمكانيّات القارئ الذي يقف عند حدود المعنى السّطحي.

–الدّهشة التي تتشكّل لدى القارئ حيالها، تحدث لديه في الغالب حالة من الاستفزاز، أو القلق أو التردّد، ويتبلور ذلك فيما يحصل لديه في الأخير من الإعجاب أو الاستنكار.

–باثّ المفارقة يتحلّى غالبا بالفطنة، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالشّعر،فقد أثبت عبدالكريم النّهشلي (ت405هـ)([9]) أنّ قول العربي (ليت شعري) يقصد بها (ليت فطنتي)، فكل مفارقة لابدّ أن تصدر عن " ذهن متوقّد و وعي شديد للذّات بما حولها.([10])"

–كل المفارقات تستلزم وجود تناقض أو تعارض في مضمونها، وهي خاصيّة يهدف بها منشئ المفارقة إلى إزعاج القارئ و جعله في حالة اضطرب و قلق و عدم يقينيّة.

---

[7] _ دي . سي .ميويك: المفارقة وصفاتها، تر: عبدالواحد لؤلؤة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ، لبنان ، ط1، 1993 م ،ص18

[8] _ دي.سي.ميويك:ا لمفارقةوصفاتها، مرجع سابق ، ص21

[9] _ عبدالكريم النهشلي أحد رواد النقد المغربي القديم ،وهو أستاذ ابن رشيق القيرواني

[10] _ _ نبيلة ابراهيم : المفارقة ، مرجع سابق،ص132

-لا ننتظر من المفارقة أن تحدث نفس الاستجابة لدى عدد من القرّاء، فانفتاح الدّلالات و تمدّدها سمة ملازمة للمفارقة إذ أنّها وسيلة لقول أقلّ ما يمكن و تحميل ذلك القول أكبر ما يمكن من المعنى.

-تتبني المفارقة على تفاعل عناصر التّواصل الثّلاث: الباثّ، الرّسالة، المتلقّي.

و قمين بالإضافة أن الشّعور بالمفارقة يختلف من زمن إلى آخر، كما أن ما قد يشكّل مفارقة في زمن ما، قد لا يشكّل أية مفارقة في زمن آخر و العكس صحيح، ففي القول الشّهير لزهير بن أبي سلمى:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمّر فيهرم

يوافق المتلقي زهيرا فيما ذهب إليه من ظنّه بأن طول العمر سببه أخطاء المنيّة، و لا يبدي حيال ذلك أيّة دهشة لأن كلا الجاهليّيْن (الشّاعر المتلقّي) لا يحكّم عقله أثناء الإبداع و التلقّي على حدّ سواء في مثل هذه الأمور التي اعتبروها من المسلّمات لأنهم لم يكونوا على ديننا ، و لكن متلقّ في عصرنا الحاضر يرى في البيت مفارقة دينيّة لا يتقبلها العقل ولا الدّين، بل وقد تدفعه إلى السّخرية من قول شاعر طالما وصف بالحكمة.

أشكالها:

قسّم النّقّاد المفارقة إلى أشكال وأنواع عدة، وقد جاءت هذه الأنواع مختلفة من باحث إلى آخر بحسب الاعتبارات التي أخذت بالحسبان أثناء عملية التّقسيم، فهناك من قسّمها بحسب أساليبها، و هناك من قسّمها معتمدا على درجة شدّتها، و البعض الآخر اعتمد على تموقعها وتمثّلاتها في النّص ،كما عني آخرون بموضوعها، و اهتمّ البعض الآخر بتأثيرها، وهذه الأخيرة التي سنركّز عليها في الجزء التّطبيقي من خلال ربط المقولات التنظيرية بالكتابات الابداعية الشعرية.

لقد بيّن الدّكتور خالد سليمان في كتابه(المفارقة والأدب) جلّ أنواع المفارقة و أشكالها.([11]) كما عدّد ناصر شبانة بدوره أهمّ المعايير التي اتخذها ميويك، في تحديد أنوعها المختلفة([12]). ونحن في هذا

[11] _ خالد سليمان: المفارقة والأدب، مرجع سابق ،ص25-26

الصّدد نورد الأنواع الّتي ذكرها خالد سليمان و الّتي استقاها بدوره من تقسيمات ميويك، و أجاد تنظيمها و إبراز تفرعاتها.

يوجد نوعان أساسيان للمفارقة هما: المفارقة اللّفظية(Verbal Irony) و مفارقة الموقف (Situational Irony)

المفارقة اللّفظية (Verbal Irony) :أبرزها منها نمطين:

أسلوب الإبراز-(High Relief) أسلوب النقش الغائر(Intaglio)

مفارقة الموقف :(Verbal Irony) :و قسّمها إلى خمسة أنماط:

-1مفارقة التّنافر البسيط.

-2مفارقة الأحداث.

_3المفارقة الدراميّة.

_4مفارقة خداع النّفس.

-5مفارقة الورطة.

كما قسّم المفارقة من حيث درجاتها إلى ثلاث درجات:

-1المفارقة الصّريحة(Overt Irony)

-2المفارقة الخفيّة(Covert Irony)

-3المفارقة الخاصّة(Privete Irony)

ثم قسّم طرائقها وأساليبها إلى أربعة أقسام:

-1المفارقة اللاّشخصية.

-2مفارقة الاستخفاف بالذّات.

---

[12] _ناصر شبانة:المفارقة ،مرجع سابق ،ص63

3-المفارقة السّاذجة.

4-المفارقة الممسرحة.

و إلى جانب هذه الأنواع تتردّد لدى الدارسين تسميات أخرى منها: مفارقة سوفكليس، المفارقة التّصويرية، المفارقة الدّيموقراطية، المفارقة العدمية، المفارقة الكونية، مفارقة القدر...الخ.([13]) و هذه التّسميات و التّقسيمات المختلفة تجعلنا" نسلّم بأنه لا توجد مفارقة واحدة ذات مفهوم واحد ،بل هناك مفارقات متعدّدة ذات مفاهيم متعدّدة، تلتقي فيما بينها داخل إطار عام ينتظمها من حيث اجتماع المتناقضات([14])".

أنواعها :

للمفارقة نوعان أساسيان، تعرض لهما كل دارسي المفارقة، و تندرج تحت كل منهما أنواع و أنماط فرعية ، وفي محاولاتنا لتقصي الجدلية بين المقولات التنظيرية للمفارقة وتجلياتها في الابداع الشعري عموما ، وقعنا على دواوين شاعر اتسمت أغلب قصائده بالمفارقة ، كما أن الحياة التي عاشها الشاعر حفت بها المفارقات من كل جانب . خاصة قصيدة (يا صبر أيوب) وهي قصيدة مفارِقة بحد ذاتها ولم تحظ بدراسة نقدية وافية ، وهذا ماجعلنا نقتصر على نماذج من شعره ، كي يشاركنا المطّلع على البحث (صدمة المفارقة) :

أ _ المفارقة اللّفظية(Verbal Irony)

هي أبرز أشكال المفارقة من حيث انتشار توظيفها في الشّعر المعاصر، و هذا ما جعل النّقاد يركّزون عليها في تعريفاتهم النّظرية و في دراساتهم التطبيقيّة، و هي كما يقول ميويك " انقلاب في الدّلالة"([15]) و يعرّفها محمد العبد بقوله: " هي شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر، يخالف غالبا المعنى السّطحي الظّاهر."([16]) أي أنّ هذه النّوع ينشأ من كون الدّال يؤدي مدلولين نقيضين ،الأوّل ظاهر والثاني خفيّ وهي تختلف عن المجاز و الاستعارة في اشتمالها

13 ــ خالد سليمان: المفارقة والأدب، مرجع سابق،ص25

14ـ قاسم البريسم:المفارقة في شعر عدنان الصايغ،مرجع سابق،ص25

15ـــ دي.سي.ميويك: المفارقة وصفاتها ،مرجع سابق،ص32

16ـ محمد العبد: المفارقة القرآنية،مرجع سابق،ص71

على قرينة توجّه انتباه القارئ نحو ما يريده صانع المفارقة ([17]) و هذا ما يتبعه أغلب الشّعراء المعاصرين على اعتبار " أنّ طابع اللّغة الشّعرية يبدو مفارقا عموما حسب–ميشال ريفاتير_ إذ أنّ أسلوب الخطاب الأدبي باختلافه مع القاعدة اللّغوية و مخالفته لمألوف القول يشكل مفارقة " ([18]) و تفهم المفارقة اللّفظية غالبا على أنها مرادف لبلاغة المفارقة إذ تتجلّى كتناقض بين ما يقال و ما يكتب و بين ما يقصده.

على هذا الأساس بدت لنا مفارقات لفظيّة متباينة في القصيدة نحاول الوقوف عندها فيما يأتي:

_ مفارقة الإضراب(الاستدراك):

لقد وجدنا أنّ الشّاعر وظّف أدوات لغويّة تعمل على إنتاج الدّلالة، بطريقة استثنائية و واعية، فقد كان يقول شيئا، ثم يعدّل مساره بإحدى تلك الأدوات، ليزيد من مساحة امتداد فضاء الاحتمالات أمام المتلقّي، فمن المعلوم أنّ " الإبداع عندما يحافظ على وضعيّة اللّغة يفقد أهم شروط إبداعيته، ثم يفقد أهم خصائص أدبيته و هي خصّيصة (الاحتمال)" ([19]). إن الاتّجاهات المتعدّدة التي يسلكها القارئ في سيره لاكتشاف المفارقة، كانت نصب عيني الشّاعر من أوّل القصيدة إلى نهايتها، فقد استعان ببعض الأدوات المعيّنة، كشواهد، تساعد المتلقّي عند كل منعطف يريده أن يسير فيه، ومن هذه الأدوات: لكن(الاستدراكية)وإن(الشرطية)وإذ(الفجائية) و أم(المنقطعة) وإلاّ (الاستثنائية)، وهي أدوات انفردت بقدرتها على تحويل اتجاه المعنى أو إلغائه، فكلّما اكتشف القارئ سبيلا جديدا إلى المعنى زاد إحساسه بالمفارقة و ذلك لأنّ في هذه المفارقة الاضرابيّة " يضرب النّاطق عما قاله فيما سبق، ومن خلال القول السّابق و القول اللّاحق الذي يخالفه تتولّد المفارقة"([20]).وقد وظّف الشّاعر في هذا النّوع من المفارقات الأدوات الآتية :

لكن(الاستدراكية) :

[17]_ ناصر شبانة: المفارقة ،مرجع سابق،ص64
[18]ـــ نور الدين السد:الأسلوبية وتحليل الخطاب ،دراسة في النّقد الأدبي الحديث،جزء2،دار هومة،دت،ص24
[19] ـ أحمد عادل عبد المولى: بناء المفارقة ، مرجع سابق،ص91
[20]_سعيد شوقي:بناء المفارقة في المسرحية الشعرية ، مرجع سابق ،ص207

قال ابن هشام عن لكن: " و في معناها ثلاث أقوال: أحدها: و هو المشهور: الاستدراك، و فُسّر بأن تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها"([21]) و قد وظّفها الشّاعر خمس مرّات، في مواقع مفصليّة من التّشكيل الزّمني لقصيدة (ياصبرأيوب)، وظّفها أول مرة مفارقا أصل الاستدراك، إذ ابتدأ بها البيت، و جاء بعدها بحكمين مخالفين لبعضهما:

لكنّه وطن، أدنى مكارمه   يا صبر أيّوب، أنّا فيه نكتمل؟([22])

إن الابتداء ب (لكن) يجعل القارئ يحدّد اتّجاها معيّنا يسير فيه للكشف عن المفارقة منذ البداية، فالشّاعر يخاطب (ذات الصّبر) عن وطن مليء بالمكارم، حتى أنّ أدنى مكرمة فيه هي أن يكتمل الإنسان العراقي وجودا إنسانيّا واجتماعيّا، فقد جمع بين معنيين متناقضين، فوفرة المكارم لا يكون أقلّها تحقّق الوجود الإنساني، و المعنى البعيد للبيت لا يخلو من مفارقة الاستخفاف بالذّات بين ادعاء المكارم و حلم الاكتمال.

و يواصل الشّاعر استغلال هذه الأداة في تصويره لأحداث أساسيّة في الواقع السّياسي للعراق، فيقول واصفا العالم من حوله:

و العالم اليوم، هذا فوق خيبته   غاف، و هذا إلى أطماعه عَجِل([23])

حيث أراد بالعالم الغافي فوق خيبته: العرب، و أراد بالعالم الذي يسعى إلى أطماعه: الغرب و الأمريكان، لقد أحدث التّضاد في الصّيغتين (غاف/ عجل) مفارقة لفظيّة، سرعان ما ألحقها باستدراك يخالف فيه، ما بعده، ما قبله:

لكنّهم، ما تمادوا في دناءتهم   و ما لهم جوقة الأقزام تمتثل؟([24])

وهنا يستغّل الشّاعر الأداة (لكن) في العدول عن حكمه الأوّل، فعلى الرّغم من أنّ العالم حول العراق انقسم إلى غاف و طمّاع إلاّ أن دناءتهم ليست بالشّيء الذي يذكر ما دامت الفئة الحاكمة في العراق(جوقة الأقزام) تذعن و تمتثل،إنّ الإحساس بالمرارة جعل الشّاعر يجنح إلى استغلال(لكن) في

---

[21]ـــ ينظر: ابن هشام الأنصاري:مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،تح:محمد محي الدين عبدالحميد،المكتبةالمصرية،صيدا،ج1991،1 ،ص320
[22]ـــ عبدالرزاق عبدالواحد: الاعمال الشعرية ،مرجع سابق ،ص188
[23]ـ عبدالرزاق عبدالواحد: الأعمال الشعرية ،مرجع سابق ،ص191
[24]_المرجع نفسه ،ص191

مفارقة تتبني في آن واحد على الطّرافة و السّخرية، و يواصل ربط الأحداث المتضادة بنفس الأداة إذ يقول:

قد يأكلون لفرط الجوع أنفسهم لكنهم من قدور الغير ما أكلوا([25])

أثبت الشّاعر الحكم الأوّل بالفعل يأكلون ثم نفاه في الحكم الثّاني بعد لكن بـ(ما أكلوا)،والقارئ الحصيف يقف على المعنى البعيد: حيث يقتتل العراقيّون فيما بينهم ولا يجرؤون على مواجهة العدوّ،إنّ النّبرة التّهكميّة الّتي تنتشر في هذه الأبيات، واشتراكها مع القرائن السّياقيّة تحتّم على القارئ أن يعيد تفسير العبارات و يسلّم بوجود المفارقة.

تمكّن الشّاعر من أن يدخل البنى اللّغوية إلى دائرة المفارقة حينما وظّف لفظة (لكن) بطريقة تجعل القارئ في كل مرّة يضرب عن حكمه الأوّل و يستدركه بحكم لاحق مخالف للأوّل و إن لم تكن هي الرّكيزة الأساسية في إنتاج المعنى، و لكن وجودها(الاستدراكي) في حدّ ذاته قرينة توصل إلى المعنى بعد أن تشي به.

مفارقة الحضور والغياب:

لم يقتصر وجود المفارقة عند الشّعراء على رؤية الأضداد في الحياة بل أصبحت جزءا من فكرهم و شعورهم، إنّ المتلقّي الفطن يلتمس (حلم) الشّاعر القابع في لا شعوره الباطن (كحالة غياب) ،الحلم بانتفاضة العراقيّين وثورتهم و تكتّلهم لكسر الصّبر و مواجهة العدوّ، و يتلمس في نفس الوقت الواقع الدّامي في العراق (كحالة حضور)، إنّ تغييب الحلم في لا شعور الشّاعر، ما هو إلاّ انعكاس لغياب أمل الشّاعر في أن يرى العراق معافى، فإذا كنّا سنعمل على كشف حالات الحضور و الغياب التي شكّلت تداعياتها المفارقة في القصيدة فإنّنا على غير العادة نبدأ من حيث أنهى الشّاعر القصيدة:

يصيح بي: أيّها الغافي هنا أبدا إنّ العراق معافى أيها الجمل([26])..

---

[25]ـ المرجع نفسه،ص191

إنّنا عادة لا نصيح إلاّ بالغافي الّذي تمادى في النّوم إلى درجة الأحلام، ربّما أراد الشّاعر بأنه طوال حياته، و طوال القصيدة كان يحلم حلما مستمرّا لا ينتهي إذ قال: هنا (في الحياة و في القصيدة)، أبدا (أي أنه حلم لم و لن ينته)، هذا الحلم الغائب الذي لم يكشفه لنا علنا في القصيدة، بل ترك الفرصة في اكتشافه للقارئ الفطن الذي يتحرّى مفارقة حالات الغياب قبل أن يتأكّد من حالات الحضور، و في الشّطر الثاني تتبدّى دهشة المفارقة حين يكنّي عن الواقع الدّامي للعراق (حالة الحضور) بتعبير مضادّ لذلك الواقع بقوله (العراق معافى)، لقد قفز على دمويّة الواقع ليلخّص لنا حلمه بأن يرى (العراق معافى)، لكنّه أتبع حلمه موضّحا لنا أنّه يخاطب الجمل، فجعل من جملة(أيّها الجمل) قرينة أو شيفرة يعود من خلالها القارئ إلى استرجاع حالة الحضور التي تجلّت في رحلة الأوجاع التي خاضها الجمل(العراق) بدءا من مخرز الموت إلى فيض الدّماء.

وعند إحدى المنعطفات المفارقة في القصيدة يخرج (أنا) الشّاعر (الحاضر) في كلّ مفارقات القصيدة عن طوره و هدوءه ليخاطب (الآخر) العراقيّ (الغائب) عن الواقع ساخطا متسائلا:

يا سيّدي...أين أنت الآن؟...خد بيدي   إنّي إلى صبرك الجبّار أبتهل([27])

سمعنا صوت الأنا(الحاضر)في كل تمفصلات القصيدة (شكلا و موضوعا)، يرتدي غالبا رداء (النّحن)، لأنّ الشّاعر أراد أن يدهشنا بشدّة التصاقه بالهمّ العراقيّ إلى أن وصل به حدّ الغيظ و السّخط، أن يعبر إلى (أناه) المفرد الحاضر، ليخاطب(الآخر) الممعن في الغياب، فإن كان الشّاعر في البداية مستسلما لذاك الغياب، إلاّ أنه صرخ به ليظهر و يواجهه، فيتوقع القارئ أن الشّاعر أخيرا سيمسك العراقي و يرجّه رجّا كي يثور و ينتفض على و اقعه...لكنّه ما يلبث أن ينصدم بما لم يتوقّع، و هو أن يطلب من الآخر مساعدته لكي يصل إلى درجة الصّبر الّتي وصلها، في إشارة منه إلى حالة غياب أخرى وهي(التصدّي للواقع الدّامي) في مفارقة صارخة فرضت على الأنا (الحاضر) التّعايش غير المتكافئ مع الآخر(الغائب)، و قد وظّف الشّاعر ذلك الطّلب و التوسّل من (الحاضر) إلى(الغائب) كمفارقة مبطّنة تشي بسلطة (الأنا) في ذلك التّعايش المفروض بينهما.

_ مفارقة السّخرية والتّهكّم:

---

[26]ـــ عبدالرزاق عبدالواحد، الأعمال الشعرية ،ص197

[27]ـــ المرجع نفسه،ص192

تنتقل الألفاظ من سياقها إلى سياق مناقض لها ،عندما يتّخذ الشّاعر من التّهكّم أسلوبا لإبراز المفارقة، و قد عرّف البلاغيون التهكّم على أنه " عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار والوعد في مكان الوعي، والمدح في معرض الاستهزاء" ([28]) و لا يمكننا بأي حال عدّ (التهكم) مقابلا و مرادفا للمفارقة عموما، و لكن يمكننا اعتباره شكلا من أشكالها، و يبيّن ناصر شبانة ذلك قائلا :" ليس من الحكمة أن نجعل هذا المصطلح المقابل الوحيد للمفارقة ، ففي ذلك غضّ من قيمة المباحث البلاغيـّة الأخرى ، غير أنّه يمكن عدّ التّهكّم من أبرز الأنواع البلاغيّة العربيّة التي تقترب إلى حدّ كبير من المفارقة."([29]) و تتبني مفارقة السّخرية على شكل يناقض تماما ما ينتظر فعله ، إذ يأتي رد فعل البطل في المفارقة مخالفا تماما لما يفترض أن يكون أو بصيغة أحرى مخالفا لما يتوقّع القارئ حدوثه ، كأن يكون ردّ فعل من استبيحت دماؤهم و دمرت بلادهم وديارهم، الاستكانة و الصّبر، دون مقاومة، فقد لمّح الشّاعر كثيرا إلى محاربة العراقيّين لبعضهم عوض التّصدي لقوى الدّمار. وهذه هي الرّؤية الّتي دارت حولها كل المفارقات السّاخرة التي انتشرت في القصيدة .

ونرى الشّاعر يسخر من ردّة فعل العراقيّين قائلا:

أم أنّهم أجمعوا ألا يظلّلنا في أرضنا نحن لا سفح ولا جبل

إلاّ بيارق أمريكا و جحفلها و هل لحرّ على أمثالها قبل؟([30])

صوّر الشّاعر خواء أرض العراق من كل متطلّبات الحياة ، و أنه لم يعد يُرى على أرض العراق إلاّ أسلحة الأمريكان وجنودهم، وعوض أن يقرّر أنه ينبغي التّصدّي لتلك القوّات، فإنّه انبرى يسخر في قالب استفهام إنكاري قائلا : وهل لحرّ على أمثالها قبل؟ وهو سؤال يصدم المتلقي الذي يعلم أنّ الأحرار لا يرضون الذلّ و الهوان، و لكن حجم المرارة التي يتجرعّها ، جعله يقلب موضوع الحماسة و شحذ الهمم من موضع التوكيد (وليس لحرّ على أمثالها قبل)- إلى موضع سخريّة و تهكّم إذ يتساءل مُنكرا (وهل لحرّ على أمثالها قبل؟) إنه تماما كقولنا لمن أساء التّصرّف (يا للبراعة).

لقد وزع الشّاعر مفارقاته السأخرة على مدارات التعجّب والاستفهام والهجوم المباشر :

---

[28] _ابن أبي الاصبع المصري:تحرير التعبير في صناعة الشعر،تح:حفني محمد شرف،المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ،القاهرة،1995، ص568

[29] _ناصر شبانة : المفارقة ،مرجع سابق،ص31

[30] ـــ عبدالرزاق عبد الواحد: الأعمال الشعرية ،ص188

يا أيّهذا العراقيّ الخصيب دما و ما يزال يلالي ملأه الأمل

قل لي، و معذرة، من أيّ مبهمة أعصابك الصّمّ قُدّت أيّها الرّجل؟([31])

بلغ التوتّر بالشّاعر حدّا، لم يعد يعرف معه بأيّ صيغة ينادي العراقي، فناداه (يا أيّهذا)، وهو لم يعد يعرف إن كان فعلا يعرف العراقيّ أو لا يعرفه، فقد اختلطت لديه كلّ الأحاسيس في مواجهة رجل خصيب بالّدماء و مع ذلك يملأه الأمل، لقد بدا الشّاعر واع جدا بالمفارقة التي تصنعها لفظتي (الدماء، الأمل)، فوجد نفسه يخاطب الآخر -مستطردا بطلب المعذرة، إيذانا منه للقارئ بأنه في موضع تهكّم- و يسأله ساخرا: أعصابك الصّمّ قّدت أيها الرّجل؟

و يواصل هجومه المباشر ليسخر هذه المرّة من ضمير الرّجل:

يصيح رعبا، فينزوِ من توجّعه هذا الضّمير الذي أزرى به الشّلل([32])

و لكنّ الشّاعر ما يفتأ يلخّص استكانة العراقيّين، متحدّثا عنهم بصيغة الغائب هذه المرّة:

لكنّ أهلي العراقيين مغلقة أفواههم بدمائهم فرط ما خذلوا

دما يمجّون إما استنطقوا، و دما إذ يسكتون، بجوف الرّوح ينهمل([33])

عمد الشّاعر إلى تصعيد المفارقة المعنويّة، إذ تحدّث عن الدّماء التي تملأ أفواههم حين ينطقون، و تملأ روحهم حين يسكتون، و لكنّ الحقيقة أنّهم حين يسكتون، تنهمل الدماء في روح الشّاعر، لا في أرواحهم من فرط إحساسه بالمرارة.

و هكذا تكشف المفارقة السّاخرة حركيّتها داخل مبنى القصيدة ، كما تكشف عن قدرتها على إحداث المفاجأة و التّصادم مع اللاّمتوقع، و هي بذلك وسيلة بالغة الأهميّة في البناء المفارق.

مفارقة الموقف:

---

[31]ـ عبدالرزاق عبدالواحد: الأعمال الشعرية ،ص192

[32]ـ المرجع نفسه،ص 195

[33]ـ المرجع نفسه،ص 192

نعني بالمفارقة الموقفيّة " أن تستوعب المفارقة موقفا متكاملا يجسّد علاقة الذّات المتكلّمة أو الموضوع المتكلّم عنه بالبيئة المحيطة به، أو الآخرين الحافين به في زمان و مكان محدّدين...و سواء انتشرت المفارقة أو انكمشت، فإنها تمتلك القدرة على استيعاب كل ما يقع في منطقة نفوذها و المواقف و الأحوال" ([34]) و هذا يتجلّى بين طيّات القصيدة، على اعتبار أن الشّاعر يصف لنا الأحداث التي عايشها في العراق في قالب شعريّ عني بألفاظه و تراكيبه، و تجدر الإشارة إلى أنّ " مصطلح الموقفية تسمية عامّة للعوامل التي تقيم صلة بين النّص." ([35]) و غالبا ما تكون هذه العوامل: أحداثا و أزمنة وأمكنة، والمفارقة باعتبارها موقف لا يمكن أن تتحقّق إلاّ بإدراك الشّاعر للتّناقضات التي تحيط به، و تحويله هذه التّناقضات إلى طاقة فعّالة من خلال اتخاذه المفارقة موقفا([36]).

قد تجتمع المفارقة اللّفظية مع مفارقة الموقف و نجد أنّ تتالي المفارقات اللّفظية في قصيدة(يا صبر أيوب) كان يشكّل من حين لآخر مفارقات موقفيّة أيضا، و إذا نحن اعتمدنا على قول الدّكتور أحمد عادل عبد المولى بأن" المفارقة اللّفظية تختلف عن السياقيّة في أنّ الأولى تعتمد في كشف حقيقتها أولا على صاحب المفارقة(الشّاعر)، أمّا المفارقة الموقفية تعتمد على المراقب أو القارئ في استنباط و كشف التّعارض بين المعنى الظاهري و المعنى الخفيّ" ([37]) فإنّنا نجد أن القصيدة المفارقة التي نحن بصددها ما هي إلا مفارقة موقفيّة كبرى، شكّلتها مفارقات جزئية مختلفة، يلعب القارئ دورا أساسيّا في كشفها. و قد وجدنا أن المفارقتين الدّراميّة و الرّومانسية شكّلتا أهم الصّور التي قامت عليها مفارقة الموقف في القصيدة، إذ ننبري فيما هو آت إلى كشف أبرزها.

المفارقة الدّرامية:

تقوم المفارقة الدراميّة على" تصوير حالة أو حدث أو تبنّي موقف ما ، يمكن من خلال إدراك أبعاد كلّ منها ، أن يرى فيها وجه المفارقة على أنّ من يقوم بالتنبّه إلى هذا النّمط من المفارقة و الوعي بأبعاده هو المتلقّي" ([38]) و قد عمد الشّاعر في القصيدة إلى" تأسيس موقف معيّن من الوجود و سعى إلى المشاركة

---

[34]ـــ محمد عبد المطلب:كتابالشعر،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،ط1،2002 م،ص70
[35]ـــ إلهام أبوغزالة :مدخل الى علم لغة النص،سلسلة الألف كتاب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط2، 1999 م،ص209
[36]ـــ ينظر: أحمد عادل عبدالمولى:بناء المفارقة ،مرجع سابق،ص134
[37]ـــ أحمد عادل عبدالمولى :بناء المفارقة ،مرجع سابق،ص136
[38]ــ دي .سي .ميويك: المفارقة وصفاتها ،مرجع سابق ،ص78

بالتّعبير عن أوجه الحياة والمجتمع بحسب رؤاه الخاصّة" ([39]) وهذا ما دفعنا إلى اعتبار القصيدة كلّها ذات طابع درامي، كما أنّه وظّف الأسلوب الدرامي في العديد من قصائده الأخرى، ونقصد بالأسلوب الدرامي هنا، الطّريقة التي يعتمدها الشّاعر في بناء نصّه بطريقة تتجلّى فيها مواقف مختلفة، قريبة في شكلها من(القصّة)، و إن كان الشّاعر لم يقصد أن يسرد قصّة في قالب شعري، إلّا أنّه أرادنا أن نعرف بأن" وضع القصّة و دورها في القصيدة هو وضع الصّورة الدراميّة الفنيّة و دورها في الشّعر بوصفها بلاغة جديدة([40])".

يحكي لنا الشّاعر عن تاريخ العراق، و يضعنا فيه على عتبة مفارقة:

لكن سأستغفر التّاريخ إن جُرحت   أوجاعنا فيه جرحا ليس يندمل

و سوف أطوي لمن يأتون صفحته   هذي لينشرها مستغفر بطل

إذ تلاها تلاها غير ناقصة حرفا   و إذ ذاك يبدو وجهك الجذل([41])

لم تفصل لنا الأبيات عظمة حضارة العراق وتاريخها، لأنّ الشاعر يعي أن ذلك التاريخ موجود حتما في ذهن القارئ، فراح يحكي لنا عمّا سيفعله مع صفحات التّاريخ، سيستغفره لأنهم ما زادوا جراحه فيه إلاّ وجعا، و إن كان من البديهيّ أنّ المرء يتّعظ من أخطائه التي يسجلّها له التّاريخ، إلاّ أن الآخر هنا على العكس من ذلك عاد إلى جراح تاريخه يزيدها ألما و وجعا، و هي المفارقة التي بناها الشّاعر في قالب درامي، إذ جعل من بطلها(العراقي) ضحيّة، لا يجد أيّ استعطاف من قبل القارئ(المراقب) لموقف المفارقة. إنه يبني دراميّته بشكل متدرّج، ليقرّر أنّه سيطوي صفحة التّاريخ، منتظرا أن يأتي(مستنفر بطل) ليفتحها، يبدو للقارئ أن الشّاعر بعد أن قرر طيّ صفحة التّاريخ سينتظر أن يصحو العراقي من نومه، وينشر تاريخه من جديد، ولكن الشّاعر يصدمه بأن يقرّر أنْ ليس لتاريخ العراق إلاّ بطلا خرافيّا(كاد أن يصوّره من خارج العراق) لفرط فقده الثّقة في أبناء وطنه، فبعد تصاعد الأسلوب الحكائي ينفتح أفق النّص

---

[39]ــ الهام مكي المواشي:المفارقة في الشعر العربي المهجريالشمالي،رسالةماجستير،كلية التربية للبنات،جامعة بغداد،2001 م،ص75

[40]ــ عزالدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر:قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ،دار العودة ، بيروت،ط3، 1981م ، ص304

[41]ــ عبدالرزاق عبدالواحد:الأعمالالشعرية،ص 196

على المستقبل بروحٍ ممعنة في الاستكانة و الهوان، تصل إلى حدّ(فرح) العراقي بآخر غريب يعيد له مجد تاريخه، و يلخّص هذه المفاجعة الدراميّة بأن يوظّف ما يكون في البدايات ليعبّر به عن النّهاية:

و كان يا مكان يا أيوب... ما فعلت   مسعورة في ديار النّاس ما فعلوا([42])

لقد أدرك الشّاعر أنّه في إطار التّفكير الدرامي ليس على ذاته أن تقف بعيدا عن الذّوات الأخرى و أنّها " مهما كان لها استقلاليتها، ليست إلاّ ذاتا مستمدّة من ذوات، و تعيش مع عالم موضوعي تتفاعل فيه مع تلك الذّوات." ([43]) فالشّاعر في تجربته هذه يعيش صراعا مع نفسه أحيانا و مع غيره أحيانا كثيرة، و الصّراع هو أبرز عناصر الدّراما. وهاهو يصوّر صراعه مع ذاته عبر الزّمن ليخلق مفارقات قوامها الحدث:

يا منجم العمر... يا بدئي وخاتمتي   خير ما فيّ أني فيك أكتهل

أقول: ها يا شيب رأسي...هل تكرمني   فأنتهي و هو في شطيكَ منسدل

و يغتدي كلّ شعري فيك أجنحة   مرفرفات فيك على الأنهار تغتسل؟([44])

إنّ توظيف الشّاعر لمفردات الزّمن(بدئي، خاتمي، أكتهل، أنتهي..) بيّن لنا ذلك الاستبداد الذي يمارسه الزّمن على الشّاعر، حتى صار انتهاء الزّمن هاجسا لديه، بأن صار لا يطلب إلاّ مكرمة في وطنه بعد أن شاب شعره و اكتهل فيه، حتّى أنّه يكاد يصلنا أن الشّاعر في الأبيات يخاطب الزّمن نفسه، و يعده بأنه سيطلق كل أشعاره الموجودة في منجم عمره لترفرف على الأنهار وتغتسل، وما توظيفه لهذا الفعل الأخير إلاّ إمعانا في الرّمزية التي تخلق المفارقة إذ أن وعده بترك(أشعاره تغتسل) يشي بأن قريحته ربّما جاءت بأشياء لم يكن يريد قولها، ولكن حدّة الصّراع الدّاخلي و الخارجي كانت شديدة إلى درجة أجبرته ذاته على قولها، و نحن نرى أن اشتغال الشّاعر على كسر أفق توقّع القارئ، بأن يبدأ الأحداث من نهاياتها نتج عنه مفارقات دراميّة، جعلت القارئ يقرأ شيئا فيتوقّع شيئا، و لكنه يكتشف شيئا آخر مخالف تماما لما قرأه و لما توقّعه.

---

42 ـ عبدالرزاق عبدالواحد:الأعمالالشعرية،ص189

43ـ عزالدين اسماعيل :الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق،ص189

44ـ عبدالرزاق عبدالواحد، الأعمال الشعرية،ص 196

إلى جانب الصّراع و الزّمن و الأحداث وكسر أفق التوقّع، وظّف الشّاعر أيضا عنصرا دراميّا آخرا وهو عنصر الحوار ،يكشف لنا عن تعدّد الأصوات في القصيدة، لقد خاطب الشّاعر كما رأينا في قصيدة واحدة ذواتا مختلفة (أيوب، الجمل، العراقيين، الصّبر، الأهل، التاريخ...) و هو خطاب يعي فيه الشّاعر مدى حضور تلك الأصوات في واقعه و في لا شعوره، و يدفع القارئ بذلك إلى مشاركته في مخاطبتها.

يمكننا أن نخلص إلى أن المفارقة الدراميّة تحرّكت فوق كل خيوط النّص بدءا من قصّة الجمل و انتهاء بقصص الدّمار و الدّماء على أيدي العدوّ، لتخلق جوّا من التّناقض سواء بعنصر الزّمن أو الصّراع، أو الحوار أو كسر أفق التوقّع، لتجعل من القصيدة دراما بحد ذاتها.

_المفارقة الرّومانسيّة:

المفارقة الرّومانسية تجعل الشّاعر يبني عالما قائما على الوهم، يطيب للشّاعر فيه كل شيء،ثمّ يعود بعد ذلك إلى نقض ما بناه فهي" نوع من الكتابة يقوم فيه الكاتب ببناء هيكل فنّي وهمي،ثمّ يحطّمه ليؤكّد أنّه خالق ذلك العمل وشخوصه و أفعالهم."([45]) أما بالنّسبة للقارئ فهي" وسيلة لكشف ما في الحقيقة الواحدة من تناقضات أو هي توحي بكشف المتناقضات في هذا العالم([46]) ".

فالمفارقة الدراميّة إذن تبدأ عادة ببنية لغويّة توحي للقارئ بشيء إيجابي يفتح أمامه باب الأمل و الخير:

يا سيّدي يا عراق الأرض ...يا وطنا   تبقى بمرآه عين الله تكتحل([47])

بلغ حدّ المدح بالشّاعر إلى أن صوّر العراق جنّة، و جعل لله عين تكتحل برؤية مفاتنها، ففتح أمام القارئ نافذة جعلته يتوق بأن يواصل الشّاعر ذلك الأسلوب البديع في مدح العراق، و لكن ذلك الأمل ما يفتئ أن يخبو حين يواصل الشّاعر:

لم تشرق الشّمس إلاّ من مشارقه   و لم تغب عنه إلا و هي تبتهل([48])

---

[45]ــــ عدنان خالد العبدالله:النقد التطبيقي التحليلي،مرجع سابق،ص28
[46] ـــ خالد سليمان: المفارقة،مرجع سابق،ص58
[47]_عبدالرزاق عبدالواحد:الأعمال الشعرية ،ص190
[48]_المرجع نفسه،ص190

إنّ ابتهال الشّمس يحيلنا على شدّة الدّمار التي يعيشها العراق حتى جعل من الشّمس كائنا يبتهل لله بالدّعاء عند كل غروب لينجي العراق من أعدائه و يشحذ همم أهله للانتفاضة و تغيير الواقع، و هو ما أدّى بتلك البنية إلى أن تحوّل مشاعر القارئ من الأمل إلى الألم.

و إذا سلّمنا بأن المفارقة الرّومانسية تقوم عموما على بناء حلم يتمّ تحطيمه فإنّه يمكننا القول أنّ عالم القصيدة انبنى على أحلام عاشها الشّاعر(تمنيّا و توهّما) بأن يرى العراق معافى، و لكنّه كان في كلّ مرّة يعود ليحطّم ذلك الحلم على صخرة الواقع كلّما رأى(صبر العراقيين) الذي أوصلهم إلى الاستكانة و كبّلهم عن القيام بأيّ فعل يجعل العراق يتعافى.

خاتمة :

نخلص في النهاية إلى أن الشّاعر بدا واع جدّا بأشكال المفارقة اللّفظية و السّياقية التي وظّفها في شعره، و أنّه كان على وعي تامّ بجدوى القرائن التي ينبغي أن يبثّها صانع المفارقة في حنايا النّص، لكي يوجّه القارئ إلى اكتشاف المفارقات و التلذّذ بها، و ذلك بأن توسّل بعدّة أدوات مكّنته في كل مرّة من تغيير مسارات الدّلالة، كأدوات الإضراب و الاستدراك و الاستثناء.

إنّ أشكال المفارقة التي وظّفها الشّاعر كانت كفيلة بتحقيق الدّهشة الشعريّة، اتفقت على كون رسالة المفارقة تحوي قدرا من الصّنعة و المقصدية، بحيث يتيقن القارئ في كل مرّة من أنّ بعض العبارات و الألفاظ، إن لم نقل العمل كلّه، لا يمكن أن يكون مقبولا للاستيعاب إلاّ بعد رفض المعنى الظّاهري.

فالمفارقة التي توفّرت في الألفاظ و المواقف والإيقاع، شكّلت وسيلة أسلوبيّة و ولّدت فضاءا شعريّا خاصّا بقصيدة(يا صبر أيوب)، بأن كسر الشّاعر من خلالها أفق التوقّع و جعل للدّال مدلولات مراوغة، و خلق فجوات يملأها المتلقّي بما هو غير متوقّع.

قائمة المصادر والمراجع :

- ابنأبيالاصبعالمصري:تحريرالتعبيرفيصناعةالشعر ،تح:حفنيمحمدشرف،المجلسالأعلىللشؤ ونالاسلامية،القاهرة،1995م
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت،لبنان،ط3 ،1993 م.
- ابن هشام الأنصاري:مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب ،تح:محمد محي الدين عبدالحميد،المكتبةالمصرية،صيدا،ج1992،1م.
- إلهامأبوغزالة :مدخلالىعلملغةالنص،سلسلةالألفكتاب،الهيئةالمصريةالعامةللكتاب،ط2، 1999 م
- الهاممكيالمواشي: المفارقةفيالشعرالعربيالمهجريالشمالي،رسالةماجستير ،كليةالتربيةللبنات،جامعةبغداد، 2001 م.

- حسنيعبدالجليليوسف:
المفارقةفيشعرعديبنزيدالعبادي،الدارالثقافيةللنشر ،القاهرة،دط،2005م.
- خالد سليمان:المفارقة و الأدب ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمّان ، الاردن ، ط1999،1.
- دي . سي .ميويك: المفارقةوصفاتها،تر:
عبدالواحدلؤلؤة،المؤسسةالعربيةللدراساتوالنشر ،بيروت،لبنان،ط1، 1993 م
- سعيد شوقي:بناء المفارقة في المسرحيّة الشّعرية،ايتراك للطّباعة والنّشر والتّوزيع،القاهرة،ط1،دت،1988م.
- عبدالرّزاقعبدالواحد: قصائدكتبتلها،مطبعةزياد،بغداد،1991م.
- عبدالرّزاقعبدالواحد: الأعمالالشّعرية،المجلّد4،دارالشّؤونالثّقافيةالعامّة،بغداد،ط1 ،2002م.
- عبدالرّزاقعبدالواحد: قمرفيشواطئالعمارة،منشوراتاتحادالكتّابالعرب،دمشق،2005م.
- عدنان خالد عبدالله ،النّقد التّطبيقي التّحليلي،دار الشّؤون الثقافية العامّة ،بغداد،ط1 ،1986م.
- عزالديناسماعيل: الشعرالعربيالمعاصر:
قضاياهوظواهرهالفنيةوالمعنوية،دارالعودة،بيروت،ط3، 1981م
- عليعشريزايد: عنبناءالقصيدةالعربيةالحديثة،مكتبةدارالعلوم،القاهرة،دط،1979م.
- محمد العبد:المفارقةالقرآنية ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط1 ،1994م
- محمدعبدالمطلب:كتابالشعر ،الشركةالمصريةالعالميةللنشرلونجمان،ط1، 2002 م،ص70
- ناصر شبانة:المفارقة في الشعر العربي الحديث، أمل دنقل، سعدييوسف، محمود درويش نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت،ط1 ، 2002.
- نبيلة ابراهيم : المفارقة ، مجلّة فصول ،المجلّد السّابع،العدد3،أفريل1987

- نورالدينالسد:الأسلوبيةوتحليلالخطاب،دراسةفيالنّقدالأدبيالحديث،جزء2،دارهومة،دت.

- _ Muek ,d.c,irony and ironic ,methuen,london and newyork,1982,

- _ William little,h.wfowler,j.coulous, the shorter oxford english . dictionary principales,edited by c.t onion,oxford,clareendon press,1956